عراقيتي ... وطنيتي

بحث في سوسيولوجيا المواطنة

الاستاذ الدكتور
متعب مناف جاسم
الكلية الإسلامية الجامعة/ قسم القانون

مقدمة:

يمكن أن نعّين المجال الذي تتحرك فيه المواطنة بين مدلولي الجغرافيا (Geography) والتاريخ (History) الأولى ثابتة والثاني متحرك، ولنقل إن الجغرافيا عاقلة رزينة راضية، أما التاريخ فإنه نزق متفاخر مدع رموزي "صانع".[1]

المجتمع (Society) اقرب إلى الجغرافيا ورزانتها منه إلى التاريخ وقلقه. السياسة مادتها التاريخ وملوكه وأساطيره، ثم دخلت الديانات على الخط وبذلك تحولت الكتابة التاريخية لتتناول الرسل والملوك ثم أبدلت بالأمم والملوك. فالجغرافيا تجمع، أما التاريخ فيفرّق ولكن قد تكون الجغرافيا مقيدة إذا كانت سياسية (Geopolitics) لأنها بذلك تعبر حدودها المكانية فتتوسع لتصبح أداة لخدمة السياسة ومفهوم الجغرافيا في ذهنيتنا/عقليتنا/ثقافتنا،عرب/ مسلحون/ شرقيون. إنما طغى عليها ظل التاريخ إلى الحد الذي سمي فيه احد ثقاة المعرفة الاستشراقية (كارجومسكي) الجغرافيا بأنها جغرافيا تاريخية.[2]

لذا علينا أن نخلص مواطنتنا من التاريخ ونربطها بالجغرافيا أي المكان والأرض التي نعيش فيها ونمشي على تربها إذ لا مواطنة دون وطن، و عراقنا هو وطننا بحدوده من الجبل إلى البحر ومن الهضبة إلى الصحراء.

أو كما قال الجواهري العظيم وهو رسم بشاعريته جغرافيا العراق وطنه قائلا:

((إن العراق بطوله و بعرَضْه
و بشاطئيه و باسقات نخيله))

فالعراق ثابت وعراقنا/وطننا غير قابل للتقسيم والتجزئة والمساومة على وحدة أراضيه صلدة يخترقها نهران.[٣]

فالثابت وَطَنَ ثابت: أرضا وماءً وإنسان. أما المواطنة ُ فالثابت الوطن يحتل اغلب كيانها (قوامها/ واقعها بنيتها) أمل المتغير فيها "المجتمع " وهو وإن كان أكثر حركةً من الجغرافيا (الثابت المكاني الأثقل)، إلا انه يظل مرتبطا بالأرض.[٤]

و بذلك تكون المواطنة و التي تعني توسط الديمقراطية بين المحكوم و الحاكم .

فالمحكومون و بأصواتهم (أصوات الخلق أقلام الحق) هم الذين يختارون حكامهم بضمان حق التصويت والترشيح والانتخاب والمحاسبة والتغيير .

و هذا يعني الانتقال بناس مجتمعنا (رجالا و نساءً) من الرعايا حيث الابوانية والعائلة والإدارة (البيروقراطية) والدولة (الحكم) وبنائه على المحاصصة والطائفية والعشائرية والمناطقية القائمة على الانتماءات الضيقة والولاءات المتدافعة التي نزلت بناس المجتمع إلى مستوى القطيع (Herd) يتملكهم راعيهم (Shepard) كما يمتلكونه، حال دون الانتقال من القبلية/ المجتمع، فانحطت الدولة إلى مستوى السلطة (السلطان) وتناقص الحراك السياسي الذي يترتب عليه الفصل بين السلطات وتأكيد الشفافية والمسائلة وحدوث تداول سلمي للسلطة وصولا إلى دولة المؤسسات وتوضيحا، فإن بنياتنا الاجتماعية والسياسية إنما هي مصابة بتصلب الشرايين.[٥]

والواقع هناك صيغتان يمكن إن يمتد بينهما العمر الزمني للعراق (تاريخيا) الأولى: اقبلني كما إنا (Me accept) و الثانية كما تريدني (You me accept). والصيغتان إنما تمثلان عقليتين متنافرتين متنازعتين، الأولى تقبل الأخر والثانية قد ترفض الآخر.

لذا فقد تمحورت الحياة الروحية والسياسية والاجتماعية قبولاً أو رفضا للآخر، إذ عندما يكون هناك (مَن

الصيغة قبول الآخر فان (الجزر) لابد أن يكون من نصيب الصيغة الثانية (رفض الآخر) والعكس صحيح.[٦]

التشـــــــــــخيص

إن ثقافتنا السياسية وأداتها الدولة/ الحكومة/ السلطة إنما تقوم على الغلبة (SubjugatedConQured) الغنيمة، وفقهيا فالولاية دينية ولكن الحكم (الدولة) سلطاني وهذا لون التاريخ بميله نحو الثقافة التسليم في انسجام مع سلوك الحكم والسلطة على الضد من تحرك المجتمع العراقي الذي نَزَعَتْ ثقافته نحو قبول الآخر ترجمة وفق إلية إعادة رسم فضاءات الحياة للأديان: إسلام وإخوته الإبراهيمية والاقواميات (الاثنيات) عرب، أكراد، تركمان، شبك وأطيافه ممثلة بالشيعة والسنة وأصول عراقية تضم الصابئة واليزيدية وطيف يجمع بين ثلاثة تلاوين دينية واثنية و طائفية كالفيلية وفضاء للجنس(النوع) متداخلا مع الجنس محولا إياها إلى فضاءات اجتماعية.

وبذلك نجح المجتمع العراقي في طرح صيغة اتفاقية حدد بموجبها الفضاء الخاص بكل من هذه الكينونات ضمن تعايشها مع غيرها من الأطياف مع ترك ما يشبه المنطقة العازلة أو الحاجزة بينهما (Buffer Zone) قلل من احتكاكها مما نزع عنها فتيل التوتر النفسي بعيدا عن هوس الاستيلاء (Obsessive ness).

هذه الصيغة التي أنتجها المجتمع العراقي هي التي حفظت نسيجه متماسكا وحالت دون تمزق هذا النسيج مع قدرة فيها جانب من المرونة أَمنت الحد الأدنى من التعايش ولما قدر في إلى ما يشبه السلم الأهلي (People peace) .[٧]

إلا أن خط الدولة/الحكومة/السلطة/ السلطان في العراق إنما تحرك بالضد من توجه المجتمع حيث واصل بين مفهومي التملك والحكم فالحاكم يملك وبذلك سيتصرف وفق هواه ومصلحته لتثبيت سطوته وهذا ما درجت عليه تجارب الحكم المتكررة في بلاد ما بين النهرين

(Mesopotamia) و بالأخص بعد أن وفدت عليها أقوام جذبها ما تمتعت به الأرض العراقية من خصب، فالعراق شكّل مهد الحضارة في حين مثلت فيه الصحراء لحدها.(٨)

العـــــــرض التحلـــــــيل

إن التناقض بين صيغة المجتمع العراقي التي تقبل الاتفاق واصلة به إلى نمط من السلم الأهلي دون انتقاء أو اختزال أو إبعاد أو تهميش بسبب العرق أو الدين أو المذهب أو المنطقة، وبين صيغة الدولة التي عملت بالضد في هذه الصيغة باحتكارها للسلطة التي انفردت بها عصبة/ عصبية ما لبثت إن جمعت بيدها منفردة القوة و المال و النفوذ/ أنقص من قدرة المجتمع على إن يستمر منتجا لصيغة من التسامح و قبول الآخر لكي يتحول التعايش إلى أسلوب حياة (Way of life) و ما أن انفردت الدولة/ السلطة بصيغتها القائمة على الغلبة مع شرعنتها بما يسمى بفقه الغلبة، فإنها حاولت أن تعيد بناء المجتمع على صورتها متناسية حقيقةً أن المجتمعات هي أقدم عمرا وأكثر أصالة وعمقاً حضاريا من دولها التي كانت تدول أي تزول إلى حد أن شاع ما تم التعارف عليه في ثقافتنا السياسية وعلى امتداد المنطقة الجغرافية التي نعيش ونتعايش فيها: أن الأيام دُول، و إن الدولة لو دامت لغيرك لما وصلت إليك.(٩)

رَسبّ هذا في معارفتنا وفكرنا السياسي إن (الدولة) هي القاعدة وإن الاستمرار هو الاستثناء مع حراكة للتجارب حال دون بناء مؤسسات، في وقت ظلت فيه الكارزماتية والاجتهاد الشخصي هي الصيغ الفاعلة على صعيد عمل الدولة/السلطة.

وفي ضوء التشخيص المتقدم الذي اشر قبول المجتمع العراقي للآخر وما قد يعرض له من انتقائية في التعامل معه إلى حد التهميش، فان الدولة إنما بدأت بفرض صورتها (Image) على المجتمع مع غياب و تغيب أي شكل من إشكال التعاقد (Contract) بين المجتمع و دولته بحجة إن هذا المجتمع

ما زال دون مرحلة النضج وإن مكونه الأساس هو "العامة" وإن العامة لا يستقيم وضعها ولا يتم صلاحها إلا إذا خضعت لسلطة قوية وإن البديل هو الفوضى أو كما ورد كمقولة شعرية:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا.[١٠]

التحولات المؤثرة و صيغه مجتمع ضعيف و دولة قوية (متسلطة)

لقد أدى انفتاح العراق على العالم وانفتاح العالم عليه وبالأخص منذ بدايات القرن العشرين الماضي إلى حدوث اختراقات في ثقافتنا السياسية التقليدية، أفلتت التوازن الراكد (Static) للصيغة المتوارثة: مجتمع ضعيف/ مضطرب/محدود في إدراكه ودولة قوية على رأسها سُراة لهم قدرة في إن يحولوا دون انتشار حالة الفوضى والانفلات للمكون الأعظم في المجتمع المتمثل بالعامة، إلى حد وصفهم: بأنهم لا يؤثرون إذا اجتمعوا ولا يعرفون إن تفرقوا!

لقد حولت الأفكار المخترقة التقليدية المتوارثة للعلاقة بين قوة وتسلط الدولة/ السلطة وبين ضعف ومحدودية فعل المجتمع إن تصاعدت العامة إلى مستوى الجماهير (Mass) في الوقت الذي ارتقت فيه الدولة التي تمثلها نخبة (Elite) فيما وصلت وفصلت بينهما الطبقة (Class).[١١]

وبذلك تبلورت صيغة ثلاثية جمعت بين الجماهير والطبقة والنخبة وفق ترسيمة المثلث رقم (١) هذه الترسيمة وإن سلمت بأنها مفترضة لأنها لم تتحقق فعلا، رغم أن عقود الخمسينيات والستينيات والسبعينيات كانت الحواضن الزمنية لمسميات هذه الرؤوس الثلاثة كلها في القرن العشرين الماضي

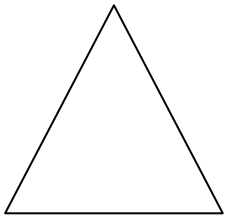

مثلث رقم (١) مفترض لتوزيع القوة و النفوذ في المجتمع العراقي

فخلال الخمسينات منه تمت بدايات الولادات النخبوية،أما الستينات فإنها احتضنت التصميمات الأساس للطبقة، في وقت شهدت فيه السبعينات تحول العامة (الدهماء) إلى جماهير (Mass).

هذه المكونات الثلاث –كما يؤكد طبقة الاجتماع السياسي – وتفرزها تجارب الواقع كان بإمكانها إن تدخل مُتكاملة وفقاَ لتفاعل مختلف يمكن إن ينتج صيغة تعاقدية جديدة لمواطنة تتوافق في دولة قانون مؤسساتية.ولكن ذلك لم يتحقق،قد يكون بفضل التباعد بين نخبة الخمسينيات وطبقية الستينيات، ثم حدث الانفصام بين طبقة الستينيات و جماهير السبعينيات حيث ظهرت جيوب حضرية ذات اصول عشائرية قريبة مكونة احياءً عشوائية اقرب إلى توابع للعاصمة (Satellites) .[١٢]

و بذلك شهدت الساحة السياسية تصاعدا (جماهير الجيوب) في حضورها بعيدة عن عاميتها وتهميشها التاريخي مستغلة الضمور الطبقي لتطرق أبواب الدائرة القرارية التي تآكلت بفعل ما تعرضت له من انقلابات وضعف الرأس العسكرية للسلطة.

قد اثبت الواقع السياسي العراقي آنذاك وما صاحبه من تزايد قلق الجماهير التي دخلت ضاغطة في معادلة التحول، إن الحاجة ملحة لقيادة (Leadership) وليس لرأس حاكمه، و هذا ما تكرر وحده من خلال فترات الصراع بين المجتمع والسلطة والتي ظلت تحتفظ بنمطها وطعمها العراقي.

فهل كان يمكن تجنب حالة تعقيدات الفراغ الاجتماعي السياسي في عراق الستينات. وبتحليل أعمق فان قامه فكرية اجتماعية عالية ممثلة بالدكتور علي الوردي وبقايا وضع طبقي تم بناؤه بفواعل يسار عراقية يمكن أن تطرح صيغة للتناغم بين

المجتمع و دولته، ولكن هذا لم يحدث وزاده هوة بينهما اتساعا في نهاية السبعينات مما هيأ الظرف لمغامرة سلطة شرط أن تكون قمعية كلانية (شمولية) امنوقراطية.

و هذا ما حدث بالفعل، وبذلك تم سحق بواقي النخب التقليدية التي أخذت تفقد صلتها بالقواعد الجماهيرية الزاحفة من الأطراف التي تحول قلقها الى غليان كما انهار الجمع الطبقي المتهاوي بفعل ماكنة السلطة الامنوقراطية الهيبة.(١٣)

كيف يمكن تفسير هذا اجتماعياً؟

المجتمع العراقي من أكثر مجتمعات هذه المنطقة حساسية لفعل سلطته، ورغم عدم ثقته بهذه السلطة فانه يريدها قوية! ولكن فإذا لو تغولت كما حدث منذ ثمانينات القرن العشرين الماضي في العراق؟ والواقع يتحدث عن نفسه فالمجتمع العراقي وبعد أن اغتربت حكومته عنه، وخلت الساحة السياسية من طبقة تتعامل بالشأن الاجتماعي الذي تحول إلى هم بفعل الفقر والتهميش والقمع فان المجتمع توجه إلى معالجة همه – كما ورج خلال تاريخه الاجتماعي الطويل – وبذلك أخذت كينونات المجتمع من دينات واثنيات وطوائف ومعتقدات أمنها بيدها مما أعاد حضورها اجتماعيا و بدأت بأخذ على ساحة الفعل السياسي، عندها تدخلت الدولة بآلة سحقتها إلا أنها عجزت في مواجهة مجتمعها لذا لجأت إلى اختراع وهمي (Fictitious)، تم تصنيعه بمواد تاريخية غابرة و إسلامية مزجت بأعراف بدوانية جعلته قابلا للاشتعال.

وبذلك تمكنت الدولة الامنوقراطية من تحويل الصراع ضدها كسلطة مغامرة إلى صراع داخل المجتمع وبين مكوناته، دخلت كطرف فيها لدعم البعض على الآخر لم يلبث أن تحول إلى فرز.

إن لعبة عدد وهمي –دعم انتقائي – فرز ثم تهميش كانت قصيرة أمد لان المجتمع العراقي وعبر تاريخه الضارب في عمق الزمن إنما كان متصالحا بين مكوناته ومع نفسه رغم

ما مر به من محن بفعل غربة حكامه عنه و تهميشهم له، فكان أن بدأت دائرة رهيبة من الحروب لتصدير الصراعات إلى الخارج.(١٤)

التعامل مع راهن الحالة في العراق

لقد أفرزت مواجهة العراق للعالم في العام (٢٠٠٣) العديد من الإشكاليات تساوى فيها فعل الدولة هادفا لإعادة البناء ووفق صيغ تفهم العصر ويفهمها، وفعل المجتمع وبالأخص بروز نوع من التطلع إلى إعادة هيكلة المجتمع وصولا الى مجتمع يتجاوز الصيغة المتوارثة "مجتمع ضعيف ودولة قوية ".

إن احد أهم الحلول لتجاوز هذه الإشكالية وإشكالية ونبوية الدولة ودينية المجتمع، فان المجتمع المدني (Civil Society) ومنظماته يمكن أن يقدم الحلول الناجعة لمثل هذه الإشكاليات وذلك عن طريق قدرته على طرح صيغ بديلة تتمكن من أن تعالج بواقعية وفعالية تعقيدات الحاضر.(١٥)

الخلاصة

إن المواطنة والتي ستتطلب توسط الديمقراطية بين الفرد ومجتمعه من جهة والدولة وقتها من جهة ثانية وبالأخص في عراقنا تاريخيا وراهنا حيث بقيت ثنائية الحاكم والمحكوم مع تحول أن يكون الحاكم عادلا مما قد يقبل عندها استبداده وفق صيغة العادل المستبد.

فالمواطنة مفردة جديدة شرطها توسط الديمقراطية قانونا وحقوقا وواجبات بين المحكوم والحاكم مما يرتقي بمستوى الأول ليكون ندا للثاني ويبقى الحاكم في دائرة الفعل أو الأداء مع إسقاط الملكية عنه كما هو الحال في معظم حكام شرقنا الذين يملكون قبل أن يحكموا.

او كما جاء في التنزيل ﴿اني وجدت امرأة تملكهم و أتيت من كل شيء و لها عرش عظيم ﴾ ٢٣: النمل واختم اقتباسي من السورة نفسها (النمل) بإيراد جواب الملكة المالكة

الحاكمة لقومها ((قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية افدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة و كذلك يفعلون)) ٣٤: النمل.

هذا هو غلط الحكم الاستبدادي الشرقي، فكيف يمكن تفكيك إشكالية الرأس إلى التعامل الندي مع الحاكم، و هذا لا يتحقق إلا إذا أعيدت هيكلة المجتمع من خلال نشر ثقافة التسامح تأخذ في حسابها قبول الآخر المختلف كما هو لا كما نريده أي أنها الثقافة تحترم اختلاف مما يجعل من استثمارنا في ثقافة التسامح وفي عراق الحاضر من أكثر الاستثمارات إنتاجية على الصعد الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، ومثل هذا الاستثمار في ثقافة التسامح وصولا إلى قبول اختلاف الآخر لا يمكن أن يتحقق إلا إذا فككنا الإشكاليات التي تقف في وجه تأصيل ثقافة التسامح ومن ثم الاستثمار فيها وصولا إلى قبول الآخر مختلفا.[١٦].

إن شعار: إقبلني كما أنا إنما يمثل نصف الحقيقة لذا فإن النصف الأخر المكمل لها لاكما تريدني هو الجذر الذي حرك كل هذه الإشكالية التي تحولت إلى تناقضات تحد تجد بدايات تداخلاتها عند الشروع بجعل العراق دولة (State).

في عشرينيات القرن العشرين الفائت.

فالعراق ارض ما بين النهرين (Mesopotamia) وادي (Valley) من أقدم وأهم وديان العالم. وطبيعة الوادي (قاموسا)أن يكون منخفضا مشكلا متقابل جانبين مائلين. فأرضه منخفضة ثم هي هضبة (عدنية) وجانباه مائلان.

وبفعل انخفاض أرضه وعدنيتها (حضريتها)وميلان جوانبها فإنها (جاذبة) للبشر والديانات والأفكار، تحيط بها صحراوات جرداء (طاردة) زاد ذلك من تدفق الأقوام عليها منهم من عبر (Transit) ومن قام دفع سكان الأصل إلى اختراع شفرة (رموز) متواصلون بها لتكريس تميزهم عن الوافدين تحولت بعد تثبيتها (نقشها) إلى حروف شكلت احد أقدم أبجديات العالم بكر في

وضعها أهل العراق الرافدين الحضاري و ذلك ليتفوقوا على جيرانهم من المرتحلين في القفار والقاطنين في الهضبة إلى الشرق وسكنه الجبال الذين يتدبرون شؤون حياتهم بالأعراف التي لا تتمدد إلا بحدود محليات مجتمعاتهم.[١٧]

فوادي الرافدين القديم والذي صار (عراقاً) أصاب قسطا وافراً من التاريخ يتجاوز حدوده في الاستيعاب قد يمتد (١٠,٠٠٠) سنة من الإجحاف أن تحوله الى حلقات متصلة من العنف دون أن تنفي أن مثل هذا السلوك تماثل فيه مع غيره من مجتمعات منطقته والعالم والأقرب إلى محاضرتنا (اقبلني كما لا كما تريدني) أن تقول بعمق وتجرد ومنهجية، العراق من راهنه أي التاريخ اجتماعا ومنذ العشرينات من القرن العشرين الماضي بخمسينياته شهدت ولادة النخب السياسية (الحديثة) وستينياته بدايتها الطبقية أما سبعينياته فقد مر فيها العراق بأحد أهم التحولات في حياته السياسية بالذات أو حدثت نقلة نوعية في العامة إلى الجماهير (Mass) .[١٨]

و دون النكوص إلى الخلف الزمني ،فان العراق الميزوبوتامي عبورا إلى عمره الإسلامي و احتلالاته المتعاقبة وصولاً إلى اليوم قد أثقله كم تاريخي تجاوز قدرة راهنه على حمله حوله إلى هم .

و بذلك اضطربت لديه بوصلة الاتجاه ،و بالموجز من أين نبدأ ؟ و بصيغة قد تكون (مستنفرة) بأي من حلقات تاريخنا نبدأ؟ لقد دخلت السلطات الحاكمة منذ تشكيل الدولة الوطنية على خط توجيه بوصلة مساره دفعها إن تبني كل أيديولوجية نظامها السياسي على الدين كي تضمن الشرعية اللازمة، لذا فقد دخلت طرفا مستقلاً في وسط المجتمع العراقي بدلاً من إن تقف على مسافة واحدة من كل مكوناته ناظرة إليهم كمواطنين وليس كرعايا أو تابعين مع تأكيد على الأداء الحكومي الذي يضع القانون وسطا بينه و بين الاراد خلال التعامل معهم.

والـذي يحـزّ في الـنفس ونحـن نؤسـس لثقافـة تسـامح ونسـتثمر في اختلاف الآخر ما يتوارد علينا من كتابات عن العراق، لعل أحدثها ما كتبـه دوكـلاس بـورج (Douglas poreh) و بعنوان مستفز هـو تشرشـل يزيـف أمـه (Churchill s Counterfeit nation) جاء فيه "في الواقع فإن البريطانين هم الذين اوجدوا العراق الدولة، قرروا حـدوده، وسـنّو مؤسساته واختـاروا قيادته "ص٢١ وهذا ما يردده الغرب وانكلترا بالذات لمثل هذه الطروحات الهزيلة التي لا تملك من المصداقية إلا ما تصوره البريطانيون لعراق دولة حلوب يدور في فلكهم يومن طريقهم البحرية إلى الهند.

فهل يمكن تزييف مجتمع عمره خمسـون قرنـاً اسمـه العراق/ ميسوبوتاميا في وقت كانت فيه الجزر البريطانية مرتعا للبرابرة والقراصنة.

المجتمع لا يمكن تزيفه أو حتى تجميعه إذ من الصعب لصق البشر ولكن ما حدث ان الامم ومنها العراق –وهو عروق وليس عراقاً –يمتلك كتلة تاريخية ضخمة وبالفعل فقد كانت بابل سُرّة العالم والرأس فيها يحكم جهات العالم الأربع، واسم بغداد القديم (بابل) و الحيرة (Hira) "كانت حاضرة المسيحية النسطورية و الثقافة السريانية قبل الاسلام وحتى الفتح ... ثم انتقل المركز الى الكوفة بعد الفتح...وبعد دفن الإمام علي (عليه السلام) في النجف قرب الكوفة انتقل السكان ومركزهم الحضاري الى النجف حول قبر الامام علي (عليه السلام) ".(مطر الـذات الجريحة ،ص٤٢١).[١٩]

وكـذلك الانبـار والبصـرة الإسلامية/ المعتزلية بصرة إخوان الصفا وخلان الوفا "... يسكنها الفارسي النسبة، العربي الدين، الحنفي المذهب العراقي الأدب،العبراني المخبر،المسيحي المنهج،الشامي النسك اليوناني العلوم،الهندي البصيرة،الصوفي السيرة ،الملكي الأخلاق ،الرباني

الـرأي ،الالهـي المعـارف "رسـائل إخـــوان الصـــفا (١٩٥٧) ج٢،ص ٣١٦).

و هـذا غـيض مـن فـيض، فهـل يمكـن أن يزيـف كـل هـذا الحمـل التاريخي؟ الواقع إن حشر هذا الحمل في فضاء جغرافي محدد، وهي الطريق التي تم فيها بناء الدول عندما تسيدت أوربا العالم ورثتها أمريكا حيث تم التفـريط بـالإرث التـاريخي الضـخم والمخـترق كـي يـتم تصـنيع دولـة (عصرية).

قطع مثل هذا العقل الاستغلالي ليس التاريخ حسب وإنما البشر الذي عـاش وحضـن ونهـض بالجهـد الحضاري المتوارث وبذلك أصيب العديـد مـن مجتمعـات منطقتنـا بالإحباط، وبدأ البحث عن أكباش فـداء نعلـق عليهـا خـدمات تقسـيم الجسـم التـاريخي بعـد أن تحـول مـن ورث الجانـب الأكـبر منـه إلى رجـل مريض و بذلك ظهرت تناقضات لم تلبـث أن تصـاعدت نزعـات بـين الأديـان والاقواميـات والاطيـاف والـتلاوين مـا لبثـت أن تحولـت إلى صراعات.

هـذه الخلفيـة –رغـم محدوديـة تحليلـها –كانـت وراء تثبـيط همـة العـراقيين وانـدفاعهم لبنـاء مشـروع عراقي خاص بهم لا يكون تابعا لأي من امتلاءات المنطقة او الخارج –وهو تلوح بواردة في الرهن العراقي –دون نسيان حقيقته هي أن مصير عرقنا في الميزان فإما إن تكون أو لا تكون وهو التحدي الأكبر من كل صراع جانبي مهمـا كـان لونـه و مكانـه لأنـه صـراع وجود فإذا تم الوعي بهذه الحقيقة فان شعار "اقبلني كما انا" يكون قد استقر فوق ارض صُلبة وسط مجتمع متعاضد عندها يطرح النصف الثاني المكمل للشعار: لا كما تريدني لقطع الطريق على تكرار ما مر بنا خلال سنوات الحجر الماضية وما تبعها بعد (٢٠٠٣) مـن تصـفية للحسـابات الـتي انتهـت بـالعنف والـتهجير ممـا يمكننـا إن ننشـر ثقافة التسامح ثم نستثمر فيها لقبول اختلاف الآخر، بان نجعل من الحاضر نقطـة شـروع لتـاريخ يوحـدنا يكـون

حاملاً لعراقيتنا نعود إليه لنغلق ملفاته و بالذات المفتوحة و النازفة ثم نصالح أنفسنا وأهلنا ونتحول إلى مصالحة العالم،كل العالم عاملين بإعلان حقوقه للإنسان و سيداو حقوقه لأعلى الموجودات (المرأة) متكاتفين مع طلبة وطالبات الجامعات العراقية الواعدين بغدنا الأفضل.[٢٠]

قائمة المصادر والمراجع

١- الكواري ، علي خليفة ، مبدأ المواطنة في البلدان العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ٢٠٠١ ص١٤٥-١٥٦

٢- كارتشو منسكي هو الذي ابتكر مفهوم الجغرافيا التاريخية كتب كتابة في هذا الشأن، وهو مجلد كتب بعناية ودقة جمع فيها بين التوجه الاستشراقي والعلمي إلا انه مجرد دمج يعكس الطبيعة السلوكية المركبة لشرقنا حضارات وديانات.

٣- هذا الرأي إنما أردت به أن اسير على خطى احد عمالقة علماء الجغرافيا الدكتور جمال حمدان في موسوعته الفذة عبقرية المكان: مكتبة مدبولي ،القاهرة ١٩٩٣

٤- العراق يمتلك -كما هو الحال في مصر – عبقرية مكان رغم أن الأرض العراقية يقطعها نهران هما دجلة و الفرات في الوقت الذي سيتفرد فيه الفيل بقطعة الأرض.

٥- لقد طورت هذه المفاهيم إلى حد ما الدكتورة ماريون سلوغليت جاء ضمن كتابها الذي اسمته :من الثورة الى الديكتاتورية صدر عن منشورات الجمل ٢٠٠٣.

٦- اقبلني كما أنا و ليس كما تريدني من شعارات المجتمع المدني و منظماته و قد اضيفت اليها المد والجزر وهو الأقرب كالية لفكر الدكتور علي الوردي و بالأخص كتابه طبيعة المجتمع العراقي صدر في بغداد .١٩٦٥.

٧- اعتمدت على ما كتبه الأستاذ سليمان مظهر ،قصة الديانات ص ص ٤٦٦-٥٢٦

٨- لقد كرر أكثر من كاتب مختص في الحضارات منهم ديورانت و موسوعته التي ترجمت في خمس وأربعين مجلداً طبعت عدة طبعات في القاهرة.

٩ - يمكن مراجعة الفكر الحلزوني الذي حاول ان يجعل الدولة دائلة و ذلك لكي لا

يتمكن حسب السلطان في النفوس و بالذات الحكام راجع المقدمة .طبعة بغداد.
١٠- هذا النهج إنما يحاول أن يركز على كارزماتية الرأس و بالرغم من أن هذا البيت من الشعر استخدم حاضراً الا انه يردد تفرد الرأس و ما يمكن أن يميز به من قدرة مما يجعل تداول السلطة امراً صعبا لان الفراغ الذي يتركه غياب مثل هذا الرأس غير قابل للتعويض راجع فريدها ليدي ،الأمة و الدين في الشرق الأوسط ترجمة عبد الإله النعيمي الساقي ،بيروت ٢٠٠٠.
١١- راجع بطاطو،العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ترجمة عفيف الرزاز (الكتاب الأول) بيروت ١٩٩٠.
١٢- المصدر نفسه (الكتاب الثاني).
١٣- المصدر نفسه (الكتاب الثالث).
١٤- مناف،متعب د. المجتمع العراقي في الراهن منشورات الصباح ص ص ١-٧
١٥- مناف، متعب د. المجتمع العراقي في الراهن منشورات الصباح
ص ص ٨-١٢.
١٦- مناف، متعب د. التحولات الاجتماعية في العراق بعد ٢٠٠٣ محاضرات في ورشات المجتمع المدني بغداد ٢٠٠٦-٢٠٠٨.
١٧- مركز دراسات الوحدة العربية، المواطنة والديمقراطية في البلدان العرابية، مناقشات،ص ص ١٥٧-١٧٨.
١٨- مناف، متعب د. لم التاريخ؟ بحث القي في مركز المزة الثقافي،دمشق، سوريا .٢٠٠٨.
١٩- مطر، سليم،الذات الحرجية، ص ٤٢١.
٢٠- تاريخ التمدن العراقي – مجموعة بحوث نشرت في موسوعة المدائن العراقية، مركز دراسات الأمة العراقية، ميزوبوتاميا،بغداد ،٢٠٠٥ و هي كالأتي:
(١)العراق هبة النهرين: حتمية (٢)الجغرافيا والتاريخ جنيف ص١١.
(٣)ثوابت الجغرافيا: نهايات العراق في التاريخ ،لندن ص.١٥
(٤)المدائن العراقية: النشاة والتسميات على نويني ستوكهولم ص ٣٠.
تاريخ تكوّن الاهوار العراقية.برهان شاكر،بغداد، ص٥٠.
مدن العراق القديم،مشتاق طالب،بغداد ص ٥٤.